النِّسَاءُ فِي القُرْآنِ

امْرَأَةُ فِرْعَونَ

تأليف: محمد المطارقي

رسوم: محمد نبيل

تدقيق: قسم اللغة بالدار

إشراف فني وجرافيك: سمر قناوي

المطارقي، محمد.

أمرأة فرعون

تأليف/ محمد المطارقي، ـ الجيزة

شركة ينابيع، ٢٠١٦

ص؛سم ـ (سلسلة النساء في القرآن)

تدمك: ٦١٠ ٣ ٤٩٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١- قصص الأطفال.

٢-قصص القرآن

٣- النساء في القرآن

أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة

رقم الإيداع: ١٠١٧٥/ ٢٠١٦

كَانَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ تُطِلُّ مِنْ شُرْفَةِ القَصْرِ تَتَأَمَّلُ رَوْعَةَ الكَونِ، وَتَسْتَمْتِعُ بِرُؤْيَةِ النِّيلِ وَهُوَ يَتَحَرَّكُ أَمَامَهَا فِي مَجْرَاهُ، وَفَجْأَةً لَـمَحَتْ عَلَى البُعْدِ تَابُوتًا مِنَ الخَشَبِ يَشُقُّ عُبَابَ الـمَاءِ.. سَأَلَتْ نَفْسَهَا: (تُرَى مَاذَا يَحْوِي هَذَا الصُّنْدُوقُ؟)

أَشَـــارَتْ سَـيِّدَةُ القَصْرِ إِلَى الجَوَارِي اللَّائِي يَلْعَبْنَ وَيَمْرَحْنَ أَمَامَ القَصْـرِ.. فَجَـرَيْنَ مُسْـرِعَاتٍ يَلْتَقِطْنَ التَّابُوتَ، وَهُـنَّ جَمِيعًـا شَـغُوفَاتٌ بِمَا يَحْوِي.. ثُمَّ جَرَيْنَ بِسُـرْعَةٍ إِلَى السَّـيِّدَةِ آسِـيَةَ لِتَكْتَشِـفَ بِنَفْـسِهَا الـمُفَـاجَـأَةَ الَّتِي لَـمْ يَكُـنْ يَتَصَوَّرُهَا عَقْـلُ إِنْسَـانٍ. مَا كَادَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَـةُ زَوْجَـةُ فِرْعَونَ مِصْـرَ تَرْفَـعُ الغِطَـاءَ عَـنِ التَّابُـوتِ حَتَّى هَالَـهَا وَجُـودُ طِفْـلٍ رَضِيعٍ، يَنْبَعِثُ مِنْ وَجْهِهِ نُورٌ مَلأَ قَلْبَهَا بِالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ، قَالَتْ

عَلَى الفَورِ: (سَأَطْلُبُ مِنْ فِرْعَونَ أَلَّا يَذْبَحَهُ كَمَا يَفْعَلُ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الأَطْفَالِ الذُّكُورِ مِنْ أَبْنَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.. مَاذَا لَوْ اتَّخَذْنَاهُ وَلَدًا.. فَنَحْنُ لَيْسَ لَدَيْنَا أَبْنَاءٌ ذُكُورٌ.. كُلُّهُنَّ بَنَاتٌ). وَأَسْرَعَتْ إِلَى زَوْجِهَا فِرْعَونَ تَرْجُو مِنْهُ الإِبْقَاءَ عَلَى هَذَا الطِّفْلِ لِيَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَـهَا وَلَـهُ. حَدَجَ فِرْعَونُ الـمَوْلُودَ الصَّغِيرَ بِنَظْرَةٍ مُتَفَحِّصَةٍ ثُمَّ صَمَتَ.

كَانَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ تَعْلَـمُ مَدَى مَكَانَتِهَا فِي قَلْبِ فِرْعَونَ.. فَقَدْ كَانَتْ زَوْجَتَهُ الـمُحَبَّبَةَ، أَجْمَلَ نِسَاءِ زَمَانِهَا، وَأَرْوعَهُنَّ، وَأَعْقَلَـهُنَّ.. وَفِرْعَونُ لَـمْ يَكُنْ لِيَرْفُضَ لَـهَا طَلَبًا.. لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَـمُ أَنَّ هُنَاكَ طِفْلًا سَوْفَ يُولَدُ سَيَكُونُ هَلاكُهُ وَنِهَايَةُ مُلْكِهِ عَلَى يَدِهِ.. فَهُوَ مُنْذُ أَنْ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا البَغِيضَةَ الَّتِي أَرَّقَتْ مَضْجَعَهُ، وَأَحَالَتْ حَيَاتَهُ إِلَى قَلَقٍ دَائِمٍ جَعَلَتْهُ يَقْتُلُ كُلَّ الذُّكُورِ الَّذِينَ يُولَدُونَ.. مَاذَا لَوْ كَانَ هَذَا الطِّفْلُ هُوَ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَبْحَثُ عَنْهَا فِي بُطُونِ النِّسَاءِ.. نَظَرَ إِلَى زَوْجَتِهِ فَوَجَدَهَا تَتَمَسَّكُ بِالإِبْقَاءِ عَلَيْهِ.

أَجَابَ فِرْعَونُ: (هُوَ قُرَّةُ عَيْنٍ لَكَ أَنْتِ، أَمَّا أَنَا فَلا يَعْنِينِي فِي شَيءٍ

عَلَى الإِطْلاقِ). شَكَرَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ زَوْجَهَا وَالسَّعَادَةُ تَغْمُرُ قَلْبَهَا.. تَأَمَّلَتْ وَجْهَ الرَّضِيعِ الَّذِي يَشِعُّ وَجْهُهُ بِالنُّورِ.. لَكِنَّهُ كَانَ يَبْكِي بِشِدَّةٍ.. حَاوَلَتْ تَهْدِئَتَهُ، وَأَمَرَتْ بِإِحْضَارِ الـمَرَاضِعِ لِيَقُمْنَ بِإِرْضَاعِهِ.. وَأَسْرَعَ الخَدَمُ يَبْحَثُونَ عَنِ الـمُرْضِعَاتِ.. لَكِنَّ الطِّفْلَ الرَّضِيعَ لَـمْ يَقْبَلْ أَيَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ.. فَقَدْ أَرَادَ اللَّـهُ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَعُودَ هَذَا الطِّفْلُ إِلَى أَحْضَانِ أُمِّهِ.. لِكَي يَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا وَلا تَحْزَنْ.. إِنَّهُ نَبِيُّ اللَّـهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

كَبِرَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَيْنَ أَحْضَانِ أُمِّهِ وَرِعَايَةِ السَّيِّدَةِ العَظِيمَةِ آسِيَةَ وَالَّتِي كَانَتْ تَهْتَمُّ بِهِ اهْتِمَامًا بَالِغًا.. كَانَ كُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ يَزْدَادُ تَعَلُّقُهَا بِهِ أَكْثَرَ، وَكَانَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - يَنَالُ الاحْتِرَامَ وَالتَّقْدِيرَ مِنْ جُنُودِ فِرْعَونَ وَحَاشِيَتِهِ لِكَوْنِهِ رَبِيبَ قَصْرِ فِرْعَونَ، كَمَا أَجْرَى اللَّـهُ - تَعَالَى - الحِكْمَةَ عَلَى لِسَانِ مُوسَى، وَكَانَ يَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، وَالشَّهَامَةِ وَالاسْتِقَامَةِ. وَلَـمْ يَكُنْ يَقْبَلُ بِالظُّلْـمِ، كَانَ نَصِيرًا لِلضُّعَفَاءِ وَالـمَظْلُومِينَ.. وَكَانَ لَـهُ نُفُوذٌ قَوِيٌّ بَيْنَ النَّاسِ.

كَانَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ لَدَيْهَا شُعُورٌ قَوِيٌّ أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - سَيَكُونُ لَـهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ.. وَهِيَ بِرَغْمِ كَوْنِهَا زَوْجَةً لِفِرْعَونَ حَاكِمِ مِصْرَ، وَالجَمِيعُ يَأْتَـمِرُونَ بِأَمْرِهِ وَيَمْتَثِلُونَ لِقَوْلِـهِ.. لَكِنَّهَا لَـمْ يُخَالِجْ شُعُورَهَا لَحْظَةً أَنَّهُ إِلَـهٌ.. فَهِيَ تَعْرِفُ زَوْجَهَا جَيِّدًا وَتَعْرِفُ مَنَاطِقَ الضَّعْفِ عِنْدَهُ، هَذَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَـهًا أَبَدًا.. بِالرَّغْمِ مِنْ إِعْلانِهِ ذَلِكَ، وَالجَمِيعُ يُعَامِلُونَهُ عَلَى أَنَّهُ إِلَـهٌ.. كَانَ يَقُولُ:(أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي).. لَكِنَّهَا كَانَتْ تَكْتُمُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهَا، وَلا تُحَاوِلُ إِظْهَارَهُ.

خَرَجَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - مِنْ مِصْرَ، فَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ القَوْمَ يَأْتَمِرُونَ بِهِ لِيَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ تَعَدَّى عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ وَقَتَلَهُ.. لَمْ يَكُنْ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلامُ - يَقْصِدُ قَتْلَهُ، وَإِنَّما وَكَزَهُ بِيَدِهِ لِيَمْنَعَهُ وَيُبْعِدَهُ عَنِ الرَّجُلِ الآخَرِ فَمَاتَ.. فِي تِلْكَ اللَّحَظَاتِ كَانَتْ آسِيَةُ تَشْعُرُ بِالخَوْفِ وَالقَلَقِ عَلَى مُوسَى، وَتَتَمَنَّى مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا أَلَّا يَمَسَّهُ أَحَدٌ بِأَذَى..لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْلَمُ أَنَّ فِرْعَونَ وَأَعْوَانَهُ يَتَآمَرُونَ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ.. وَفَرَّ مُوسَى مِنْ مِصْرَ إِلَى مَدْينَ لِيَعُودَ بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَقَدْ كَلَّفَهُ

اللَّـهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَمَرَهُ بِالذِّهَابِ إِلَى فِرْعَونَ بِرُفْقَةِ أَخِيهِ هَارُونَ. كَانَتْ فَرْحَةُ السَّيِّدَةِ آسِيَةَ عَظِيمَةً وَهَائِلَةً وَهِيَ تَرَى مُوسَى الَّذِي قَامَتْ عَلَى رِعَايَتِهِ وَكَانَتْ لَـهُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ وَهُوَ يُحَاوِرُ فِرْعَونَ وَحَاشِيَتَهُ حَوْلَ رِسَالَتِهِ النَّبَوِيَّةِ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّـهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ. صَدَّقَتْ هِيَ مُوسَى، وَآمَنَتْ بِاللَّـهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَـهًا وَاحِدًا لا شَرِيكَ لَـهُ فِي مُلْكِهِ.. وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.. لَكِنَّهَا كَتَمَتْ إِسْلامَهَا وَلَـمْ تُظْهِرْهُ لأَحَدٍ.. وَكَانَتْ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا تَدْعُو اللَّـهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَنْصُرَ نَبِيَّهُ، وَيُظْهِرَ الحَقَّ، وَيُخْزِيَ فِرْعَونَ وَأَعْوَانَهُ الطُّغَاةَ.

هَا هِيَ السَّيِّدَةُ الجَلِيلَةُ آسِيَةُ تَجْلِسُ فِي الـمَقْصُورَةِ الـمَلَكِيَّةِ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهَا فِرْعَونُ، بَيْنَمَا حَاشِيَةُ فِرْعَونَ وَأَعْوَانُهُ كَانُوا يَشْرَئِبُّونَ جَمِيعًا بِأَعْنَاقِهِمْ لِـمُشَاهَدَةِ مَا يَجْرِي بَيْنَ مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ.. وَبَيْنَ سَحَرَةِ فِرْعَونَ.. فَاليَوْمُ يَومُ الزِّينَةِ.. وَالحُشُودُ الـهَائِلَةُ جَمِيعُهَا شَغُوفَةٌ بِرُؤْيَةِ هَذَا الحَدَثِ الجَلَلِ.. كَانَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ تَدْعُو اللَّـهَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهَا أَنْ يُظْهِرَ مُوسَى عَلَى السَّحَرَةِ وَيَنْصُرَهُ عَلَيْهِمْ..وَفِرْعَونُ يَجْلِسُ بِجَانِبِهَا يَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ وَالقَلَقِ.

بَيْنَمَا الـمَاشِطَةُ تَقُومُ بِتَمْشِيطِ شَعْرِ ابْنَةِ فِرْعَونَ، إِذَا بِالـمُشْطِ يَسْقُطُ مِنْ

يَدِهَا، فَمَالَتْ عَلَيْهِ تَلْتَقِطُهُ وَهِيَ تَقُولُ:(بِسْمِ اللَّـهِ).. فَتَعَجَّبَتِ ابْنَةُ فِرْعَونَ، وَقَالَتْ: (تَقْصِدِينَ أَبِي؟) أَجَابَتِ الـمَاشِطَةُ: (لا.. أَنَا أَقْصِدُ اللَّـهَ رَبِّي وَرَبَّكِ.. وَرَبَّ فِرْعَونَ.. وَرَبَّ النَّاسِ أَجْمَعِينَ).

غَضِبَتِ ابْنَةُ فِرْعَونَ وَهَرَعَتْ مُسْرِعَةً إِلَى أَبِيهَا تُخْبِرُهُ الخَبَرَ، فَامْتَلأَ بِالغَيـظِ وَأَمَرَ بِاسْتِـدْعَاءِ الـمَاشِطَـةِ.. وَزَمْجَرَ قَائِلًا: (أَحَقًّا مَا قَالَتْهُ ابْنَتِي؟)

أَجَـابَـتِ الـمَاشِطَـةُ: (حَقًّا.. رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّـهُ.. وَلَيْسَ لِي إِلَـهٌ سِوَاهُ).

أَمَرَ الطَّاغِيَةُ فِرْعَونُ بِإِحْضَارِ قِدْرٍ كَبِيرٍ فَوَضَعَ فِيهِ زَيْتًا وَأَشْعَلَ تَحْتَهُ النَّارَ حَتَّى غَلَى الزَّيْتُ.. كَانَ القِدْرُ يَغْلِي، ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِ الـمَاشِطَةِ وَأَوْلادِهَا جَمِيعًا.. وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَعُودَ وَتُعْلِنَ أَمَامَ الجَمِيعِ أَنَّ فِرْعَونَ وَحْدَهُ هُوَ الإِلَـهُ الحَقُّ. لَكِنَّ الـمَرْأَةَ الـمُؤْمِنَةَ رَفَضَتْ، وَأَعْلَنَتْهَا صَرِيحَةً وَاضِحَةً أَنَّ الإِلَـهَ الحَقَّ هُوَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ. اشْتَعَلَ فِرْعَونُ بِالغَضَبِ فَأَمَرَ بِحَرْقِ أَبْنَائِهَا أَمَامَ عَيْنَيْهَا

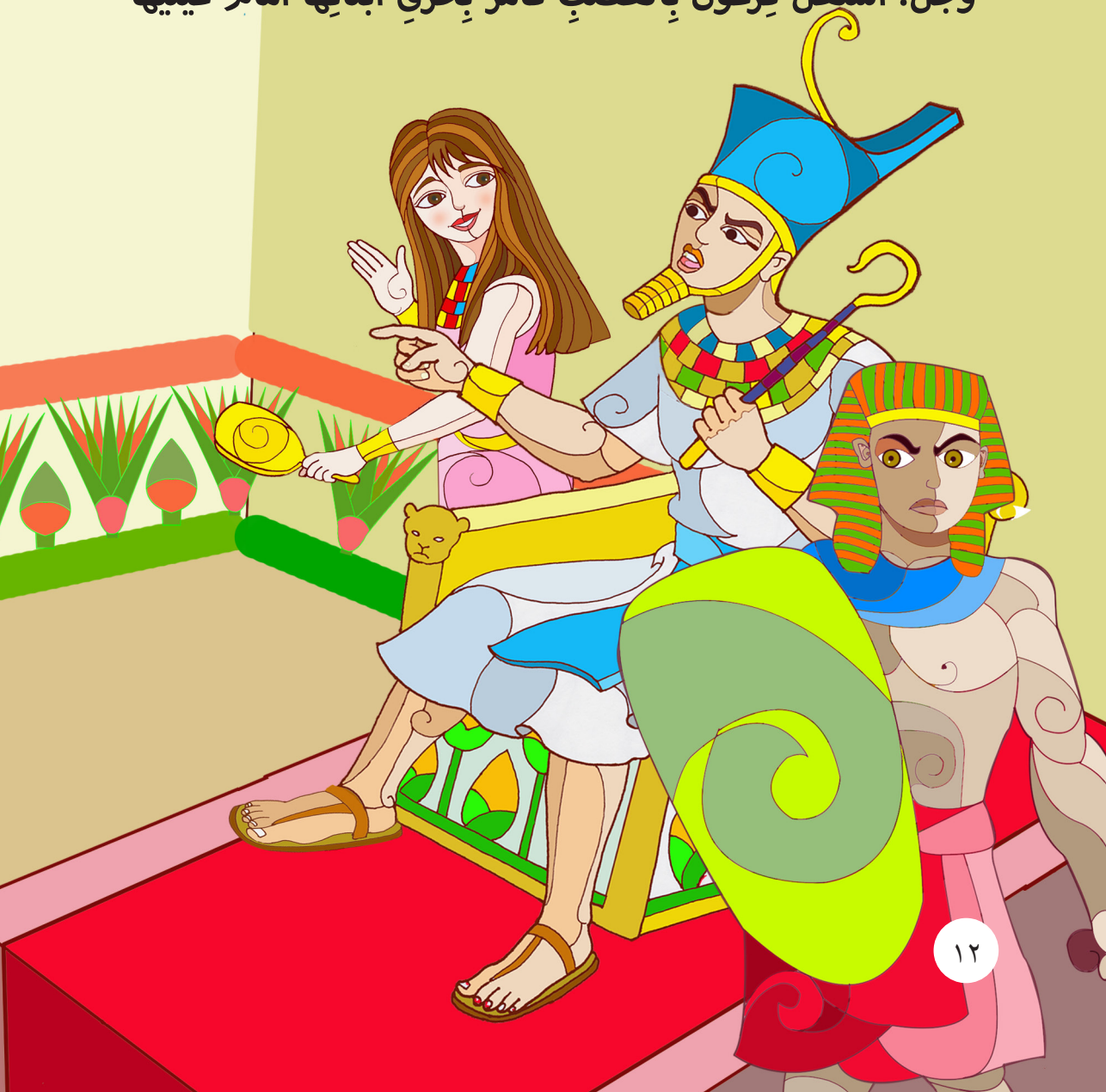

إِمْعَانًا فِي تَعْذِيبِهَا.. وَالـمَرْأَةُ الـمُؤْمِنَةُ لا يُثْنِيهَا ذَلِكَ عَنْ دِينِهَا وَإِيمَانِهَا بِاللَّـهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ.. حَتَّى مَاتُوا جَمِيعًا. حَدَثَ ذَلِكَ كُلُّـهُ أَمَامَ سَمْعِ وَبَصَرِ السَّيِّدَةِ الجَلِيلَةِ آسِيَةَ.. فَتَمَزَّقَ قَلْبُهَا حُزْنًا وَأَلَـمًا لِفِرَاقِ الـمَاشِطَةِ الـمُؤْمِنَةِ.. لَكِنَّهَا رَأَتْ بِقُدْرَةِ اللَّـهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مَكَانَةَ تِلْكَ الـمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ عِنْدَ اللَّـهِ تَعَالَى.. فَشَعَرَتْ بِالرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ تَغْمُرُ قَلْبَهَا، وَقَرَّرَتْ أَنْ تُعْلِنَ هِيَ الأُخْرَى عَنْ حَقِيقَةِ إِيمَانِهَا.. فَقَدْ زَادَ فِرْعَونُ عَنْ حَدِّهِ، وَرَاحَ يُنَكِّلُ بِكُلِّ مَنْ تَطُولُـهُ يَدُهُ مِنْ أَتْبَاعِ نَبِيِّ اللَّـهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ .. كَمَا قَتَلَ مِنْ قَبْلُ السَّحَرَةَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

عَلِمَ فِرْعَونُ بِإِيمَانِ زَوْجَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَى المَلأ وَسَأَلَهُمْ:
(مَا تَعْلَمُونَ مِنْ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ؟)
فَأَثْنُوا جَمِيعًا عَلَيْهَا خَيْرًا.. فَقَالَ لَهُمْ: (إِنَّهَا تَعْبُدُ رَبًّا غَيرِي!)
قَالُوا لَهُ: (اقْتُلْهَا).
وَهَكَذَا بَدَأَتْ رِحْلَةُ العَذَابِ مَعَ السَّيِّدَةِ العَظِيمَةِ آسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ.. فَقَدْ أَمَرَ فِرْعَونُ بِدَقِّ الأَوْتَادِ فِي الأَرْضِ، لِتُشَدَّ إِلَيْهَا بِكُلِّ

عُنْفٍ وَوَحْشِيَّةٍ. أَمَرَ فِرْعَونُ أَنْ تُعَذَّبَ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ فِي الشَّمْسِ.. فَكَانُوا يَجُرُّونَهَا جَرًّا، وَيُلْقُونَ بِهَا تَحْتَ وَطْأَةِ الشَّمْسِ الـمُشْتَعِلَةِ، وَيَتِمُّ رَبْطُهَا فِي الأَوْتَادِ.. وَكَانَ الطَّاغِيَةُ يَأْمُرُ بِتَجْوِيعِهَا.. ثُمَّ يَسْأَلُـهَا: (كَيْفَ حَالُكِ الآنَ يَا آسِيَةُ؟) وَهُوَ يَضْحَكُ بِسُخْرِيَةٍ وَاسْتِهْزَاءٍ.. فَكَانَتْ تُجِيبُهُ مُبْتَسِمَةً وَهِيَ تَقُولُ: (الحَمْدُ لِلَّـهِ).

وَيَسْأَلُـهَا فِرْعَونُ: (هَلْ لا تَزَالِينَ تَعْبُدِينَ إِلَـهَ مُوسَى؟)

فَتُجِيبُ: (إِلَـهِي وَإِلَـهُ مُوسَى وَإِلَـهُكَ وَإِلَـهُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ.. اللَّـهُ، وَلا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ).

اشْتَدَّ التَّعْذِيبُ بِالسَّيِّدَةِ آسِيَةَ الَّتِي كَانَتْ سَيِّدَةَ القَصْرِ، وَصَاحِبَةَ الكَلِـمَةِ الـمَسْمُوعَةِ.. وَالجَمِيعُ يَهَابُهَا.. كَانَتْ تَـمْلِكُ كُلَّ مَا يَحْلُـمُ بِهِ النَّاسُ مِنَ الأَمْوَالِ وَالجَوَاهِرِ.. وَالخَدَمِ.. وَالـمَلابِسِ.. وَكُلِّ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ.. لَكِنَّهَا تَرَكَتْ كُلَّ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ.. وَكَانَتْ تَدْعُو مِنْ قَلْبِهَا: (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِـمِينَ).

رَأَتِ السَّيِّدَةُ آسِيَةُ مَنْزِلَتَهَا فِي الجَنَّةِ فَضَحِكَتْ، فَقَالَ فِرْعَونُ: (انْظُرُوا إِلَى هَذِهِ الـمَجْنُونَةِ، نُعَذِّبُهَا وَتَضْحَكُ). ثُمَّ أَمَرَ فِرْعَونُ بِقَتْلِـهَا بِصَخْرَةٍ هَائِلَةٍ، لَكِنَّ اللَّـهَ - تَعَالَى - عَجَّلَ بِمَوْتِهَا وَأَدْخَلَـهَا الجَنَّةَ.